"استراتيجيات تجديد فنون البلاغة الحجاجية "

ـ الأرسطيون الجُدُد أنموذجاً ـ

Strategies for renewing the arts of argumentative rhetoric
-The New Aristotelians as a model-

دليل محمد بوزيان[*1]

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان - (الجزائر)، Dellilbouziane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/21 تاريخ القبول: 2020/03/26 تاريخ النشر: 2023/05/04

ملخص: تَرْمي الدراسات في البلاغة الجديدة لإعادة تأسيس البُرهان أو المحاجة الاستدلالية، باعتبارها تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع، و كَتِقَنية خاصة ومُتميّزة لدِراسة المنطق التّشريعي والقضائي على وجه التّحديد، و الدفع بامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر. أما الدَّعْوَى الَّتي نريد تَبْيينها على صفحات هذه المقالة من خلال تكوينِ فهمٍ أصيلٍ لمنطق المُحَاجَّة الفلسفية؛ هيَ التَّأكيد على تجاوزها مفاهيم التزيين و التجميل و التحسين الذين ارتبطت بِهما وظيفة البلاغة الكلاسيكية ، و وَصْلِها بالنجاعة في الإقناع لا بالجمال في الإمتاع. و هذا ما كان يرمي إليه " شايم بيرلمان حين قام باستعراض الأطروحات المتناقضة و المتعارضة ذهنيا، و استجلاء مُنطلقاتها المنطقية و الاستدلالية و ذلك بهدف التعرف على نسبة الإقناع فيها.

كلمات مفتاحية: البلاغة الجديدة. البلاغة الكلاسيكية.، المحاجة الفلسفية. الخطاب.، البرهان. الإقناع.

Abstract: Studies in New Rhetoric aim to re-establish proof or deductive argument, as a logical definition in the broad sense, and as a special and distinct technique for studying legislative and judicial logic in particular, and pushing its extensions to the rest of the fields of contemporary discourse. As for the claim that we want to make clear on the pages of this article by forming an original understanding of the logic of philosophical argumentation; It is the emphasis on its transcendence of the concepts of adornment, beautification, and improvement that were associated with the function of classical rhetoric. And connect it with efficiency in persuasion, not beauty in enjoyment. And this is what Chaim Perelman was aiming for when he reviewed the contradictory and mentally conflicting theses, and clarified their logical and inferential premises, with the aim of identifying the degree of persuasion in them. And this is what Chaim Perelman was aiming for when he reviewed the contradictory and mentally conflicting theses, and clarified their logical and inferential premises, with the aim of identifying the degree of persuasion in them.

Keywords: The New Rhetoric; Classical Rhetoric; Philosophical Argument; The speech; the proof; Persuasion.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد تعرّضت البلاغة منذ بدايات استخدامها كمصلح في الحقل الفيلولوجي إلى تَحوُلات و تطورات عديدة في سياقها و مضمونها منذ استعمالاتها الأولى في الثقافة الغربية القديمة مع الفيلسوف اليوناني "أرسطو" ، حيث كانت تعني عنده تلك المعرفة النظرية بالخطاب و التواصُل، ثمّ تحوّلت فيما بعد إلى المعرفة بصُور التعبير، هذه الصورة التي تغاضت عن النظرة الأرسطية للبلاغة و التي سادت لفترات طويلة من تاريخ البلاغة المدرسية و الحديثة، سُرعان ما تلاشت مع الطرح الذي قدّمه "شايم بيرلمان" و الذي قطع من خلاله الصِّلة مع تقاليد البلاغة الكلاسيكية و أساليبها الضيّقة، مُعلِنا ضرورة العَوْد إلى البلاغة اليونانية الأصيلة و التأسيس عليها باعتبارها المنطلق للبلاغة الجديدة التي دعى إليها و رسّخَ لقواعدها مع بداية سنة 1958م ، فما هي أهّم المفارقات بين البلاغة الكلاسيكية و الجديدة و ما هي أهّم إنجازاتها ؟ و ما هو دور الإقناع و صورتُه المثلى و الأنجع التي وصفه بِها الأرسطيون الجُدُد؟ و ما الجديد الذي حَمِلَهُ هذا النمط الجديد من البلاغة في الثقافة الغربية المعاصرة؟ لعلّ أهّم نتيجة نُركِّز عليها من خلال هذه الدراسة هو أنّ التصورات البلاغية الجديدة أعادت ربط البلاغة بخطابات مُفارقة للخطابات الأدبية ، كالخِطاب السياسي ، و بالمُحاججة في سلك القضاء أين يكون للإقناع الدور الحاسم.

2. البلاغة الكلاسيكية و أصولها المنطقية:

قبل الخوض في الحديث عن فنون النظرية الجديدة في الحِجاج البلاغي (بلاغة الحِجاج و الإقناع)، لا بُدّ مِن ممارسة نوع مِن خطاب العَوْد على هذا النمط من الفنون الذي ظهر كمُصطلح مُتداوَل في الدراسات اللُغَوِية المعاصرة الأوروبية عموما والفرنسية و الانجليزية بالخصوص، حيث كانت تلك الخلفيات النظرية والآليّات التي تَمَّت العودة إليها من خلال بلاغة "أرسطو" و اليونان و الرومان، هي المنبع الرئيسي في تشكيل البلاغة الجديدة، فلا يتأتّى لنا إذن فَهْم ذلك، إلاّ بالرجوع إلى التذكير بمصادرها المثمثِّلة في النظرية الكلاسيكية للحِجاج (البلاغة)، و الذي يُعتبر الفيلسوف والمنطقي "أرسطو" - كما سبق و أن ذكرنا- من الفلاسفة اليونانيين الأوائِل الذّين نَظَّروا لها مِن خِلال رُؤية حِجاجية. فقد خصّها

بمؤلّف شهير أسماه: "ريطوريقا Rhétorique" أو [كتاب "الخطابة" أو "البلاغة"] و قد عالج فيه موضوع البلاغة التي ازدهرت في النصوص الخطابية لدى اليونان، حيث قسّمه إلى ثلاثة أقسام[1] :

ـ خَصّ الجزء الأوّل و المُتكَوِن من خمسة عشر فصلا بمفهوم البلاغة و موضوعها و مِنهاجُها ومصادِرُها وعلاقتها بالجَدل (أي في مدى ارتباطها واختلافها مع المنطق)

ـ أمّا الجزء الثاني والذي يتشكّل من ستة و عشرين فصلاً فيتضمن كُلّ ما يتعلَّق بالآخر و نفسِيتِه، وتحدث فيه عن عواطف المستمعين و انفعالاتهم المتباينة من غضب و هدوء و صداقة و عداوة و خوف واعتراف و خجل ولُطف و رحمة و سخط، أين حدّد أدِلّة الإقناع في كلٍّ من أنواع الخطابات البلاغية الثلاث: **"الخطابة القضائية"Judiciaire**، و التي يهدف مِنْ ورائها القُضاة إلى معرفة الحقيقة بُغية تحقيق العدالة. **والخطابة الاستشارية (Délibératif)**، أين يتّخِذ الإقناعُ فيها طابع سياسي هَدَفُه تحقيق الخير للصالح العام، ويستخدم الزمن الحاضر و يستعين حِجاجِياً بالأمثلة. و **الخطابة البرهانية أو الاستدلالية(Epidictique)**، حيث يُستَخْدَم فيها جميع الأزمنة، أين يَهْدِفُ الإقناع هُنا إلى تثبيت الجَمال أو الدِفاع عن فضيلة أو قيمة أخلاقية عُلْيا، ويستخدم أسلوب التضخيم و المبالغة.

ـ أمّا الجزء الثالث و المُشَكّل مِن تسعة عشر فصلاً، فيتناول هندسة العِبارة أو صِفات الأسلوب و آثارِهِ الفنِّية والجمالِية والحِجاجية(أي تنظيم أجزاء القول فيه)، بمعنى أنّ هذا المؤلّف الأرسطي (ريطوريقا) اهتّم في مُحتواه ثلاثة أصناف من الفُنون: "**اللوغوس**" Logos في علاقته بمسائل اللغة، **"الإيتوس"** Ethos في علاقته بالفضائِل الأخلاقية، و **الباتوس** Pathos في علاقته بالانفعالات والأهواء، و هكذا تعادَل التماثُل بين الخطابة و البلاغة، حيث أنّ هذه الأخيرة كانت تعني بالجانب الأسلوبي للشِعر و الخطابة.

لم يُرِد"أرسطو" للخطابة أن تُخْتَزَل في التعمِية و التمويه على شاكِلة السوفسطائيين، و إنّما قام بإخضاع ذلك الفّن إلى قواعِد عامّة، تُعين على إقرار العدل و بيان الحّق بالدليل و البرهان، إذ ربطها بالمنطِق[2]. لهذا لاحظنا أنّ أوربا و إلى غاية القرن السابع عشر، قد ـ احتفت بهذا الكتاب و اعتبرته من كنوز معرفتها و اتّخذته أرضية لِدِراستها و بحوثها و مصدرا لمنطلقاتها و تصوراتها، وإن كان بعض اللسانيين المُعاصِرين، لا يزالون يعتبرون "أرسطو" أحد شيوخ الشِعرية المعاصِرة[3].

لِنؤكّد هنا على الموقف الأرسطي الذي اختزلت النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي اليوناني في المعادلة الأتية: الخطابة = إقناع (أي منطق) + تأثير (أي نفس)+ عِبارة (أي أداة)[4] . و عليه، فقد كانت البلاغة عِند "أرسطو" فنّاً و خِطاباً حِجاجِياً بامتِياز، يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ويتوجّه إلى الجُمهور السامِع قَصْدَ توجيهِهِ أو إقناعِهِ إيجاباً أو سِلْباً [5].

يقول "أرسطو في هذا الشأن: «و يحصل الإقناع، حين يُهيّأُ المُستمعون و يستميلُهُم القَوْلُ الخِطابي، حتّى يشعُروا بانفِعالٍ ما، لأنّنا لا نُصْدِرُ الأحكام على نحوٍ واحِد حسبما نحُسُّ باللّذة و الألَم، و الحُب والكراهِية، و الخِطاب هو الذّي يُنْتِجُ الإقناع حينما نستخرِج الصحيح و الراجِح من كُلِّ موضوع يُحْتمَل أن يَقَعُ فيه الإقناع. و لمّا كانت الأدّلة تختص بهذه الوسائل كان استعمالها يفترض أولاً على وجه ظاهر، الاستعداد للاستدلال القياسي، و المعرفة النظرية بطبائع البشر، و ثانيا معرفة الأخلاق و الفضائل، وثالثا معرفة الانفعالات و ذلك بأن نعرف طبيعة كل انفعال و أحواله و أسبابه، و الهيئات الراسخة التي يحدث بها كل انفعال عند المستمعين ، و يلزم عن ذلك أنّ البلاغة تكاد تكون فرعا من الجدل و علم الأخلاق ، و يصّح أن تسّمى السياسة. و لهذا السبب على وجه الضبط، تتّخذ البلاغة المظهر السياسي والذين تستمليهم ممارستها ، يرونها كذلك، تارة لضُعف ثقافتهم، و تارة تدجيلا منهم و شعوذة، و تارة أخرى لأسباب إنسانية ، و كأنّها قسم للجدل و نظير له كما وصفنا هذا في مبدأ قولنا. إذ كل واحد منهما ليس هوعلما له موضوعه المتمايز حتى تعرف خواص كل واحد منهما، و إذا كلاهما ليس إلاّ قدرات أو ملكات يقتدر بها على تقديم الحجج.»[6]

إنّ البلاغة الجديدة تستعيد الآليات والمفاهيم التي رسّخها أرسطو ومن تبعه من البلاغيين (شيشرون / لونجاينوس ... فونتاني) ونظروا إليها عبر مفاهيم اللسانيات والمنطق ونظرية القراءة بغية إيجاد السّند النظري والإجرائي الذي يمدّ النقد المعاصر باستراتيجيات تحليل الخطاب ، لأنّ البلاغة هي الكفيلة بذلك باعتبارها من صميم اللغة وهي الجهاز المفاهيمي الأقدر على فهم وإنتاج الخطاب تخييلا وتداولا [7].

إذن، فالحِجاج عند أرسطو يبرُزُ و يتحقّق عبر ثلاثة أدوات: **اللوغوس**:(الذي يعني الكلام والحجج والأدّلة التي هي قنوات للرسالة التواصُلِية)، أو **الإيتوس** (الذي هو تلك المجموعة من القيم الأخلاقية

والفضائِل العليا التي ينبغي للخطيب أن يتحلّى بها في أدائه لرسالته) أو في **الباتوس**(و الذي يتعلق بالمخاطب و يكون في شكل أهواء وانفعالات). و لكن رغم تلك المُواصفات الجوهرية التي ميّزت البلاغة التقليدية في صورتها الأرسطية، بَقِيت بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة و الإقناع والإمتاع و البيان.

3. النظرية الجديدة في الحِجاج البلاغي و موقف الأرسطيون الجدد:

إلاّ أنّه و مع مُنتصف القرن العشرين، ظهر هناك نمط جديد من البلاغة، تعامَلَ مع الخِطابات النّصِية تعامُلاً عِلْمِياً وصفِياً، و بصورةٍ أكثَرَ ثراءاً من سابِقاتِها. حيث ظهرت مجموعة من الاتّجاهات اللسانية، والسيميائية والتداولية و التّحليلية و الحِجاجية إلخ...

هذه الأخيرة ساهمت بدرجة وفيرة- في التأسيس للبلاغة الجديدة* (أو كما عُرِفَت بالبلاغة الحِجاجية) سنة 1958م مع رجل القانون التشيكي" شايم بيرلمانChaïm Perlman" واللِسانية البلجيكية "لوسي أولبريخت تيتيكا Lucie OlbrechtsTyteca" حين أصدر معاً كِتابَهُما (الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة Traite de l'argumentation : La nouvelle Rhétorique)، و الهدف من هذا الكتاب هو إخراج الحِجاج من سيطرة الخطابة و الجدل الذي ظلّ لفترات طويلة مُرادفا للمنطق نفسه.[8]

تبلورت هذه البلاغة أيضاً مع "ستيفان تولمانStephan Toulmin" في كتابه (استعمالات الدّليل أو الحُجّة) و"شارل هامبلان Charles Hamblin" في كتابه (الأوهام)، و عليه ، فثمّة نوعان من الحجاج عند البلاغيين الجُدُد:

1.3 . حِجاج يستعمل آليات و تقنيات بلاغية و منطقية، كاستراتيجيات يستعملها المُتكلِّم مِن أجل إفهام وإقناع مُخاطِبيه، و في هذا النّوع تجسدّت الصِّلة الوثيقة بين البلاغة الجديدة و الحجاج. هذا النمط، مثّلَهُ كُلٌّ مِن "بيرلمان" و"تيتيكا" في الكِتاب المُشار إليهِ سابِقا.[9]، حيث يساعِدنا هذا النوع من البلاغة الحجاجية- على ـ اكتساب خبرة منهاجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قويّة كالنّصوص القضائية و السياسية والفلسفية.[10]

2.3. حجاج يستعمل الخطابات التي تعتمد على اللسان الطبيعي، و بدرجات مختلفة.

.

و ما يهُمُّنا هنا، هو النّوع الأوّل، فَفيما تَمثَّلَ غرضُه عند "برلمان"؟ هل كان التضليل والتوهيم والظّن؟ - يرى "برلمان" أنّ الغرض منه هو بِناء الحقيقة عن طريق الحوار البنّاء والاستدلال، إذ على الخطيب أن يمتلِك مؤهلات معرفية و أخلاقية، و يستعمِل في حِجاجِهِ اللوغوس الاستدلالي بُغية إقناع الآخر.-

4. ما الجديد الذي حَمِلَهُ كلّ من "برلمان" و"تيتيكا" مقارنة مع البلاغة الكلاسيكية؟

لقد . جدّد كلاهما، آراء "أرسطو" حينما حاولا أن يُعيدا إليها طابعها الفلسفي الحقيقي، لأنّ البلاغة الأرسطية تحصِرُ البلاغة في الإقناع، فتَعُدُّها خطاباً حِجاجِياً بامتياز. و قد استبعد تصورات أفلاطون والسوفسطائيون لأنّها تقوم على الجدل و السفسطة و التشكيك، والمنهج المُغالطي والمناورة الواهِمة، واعتماد المُثُل العليا المُطلقة.[11]

- كما ارتبطت نظريته في البلاغة الجديدة، بالفلسفة و القانون و الحجاج، و انتشرت أفكاره الحجاجية في "فرنسا" (سنوات السبعينات 1979/1970). فهو الواضع الرسمي لِلَبنات الخِطاب الحِجاجي نظرِياً وتطبيقياً. حيث يرى كل من "برلمان" و "تيتيكا" أنّ -موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تُؤدي إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، فالخطاب الحجاجي عندهما، خطاب واعي يرتكز في أساسه على مُنتجي الخطاب، و على مدى قُدرته على بناء نّص حجاجي ، من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنّه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسّد بين الباث و المتلقي وِفْقَ تِقنِيات معينة يُحاوِل بواسطتِها كُلٌّ منهما إقناع الآخر و إفحامِهِ بِحُجج منطِقية عقلانية[12].

- لقيت نظريته هذه انتعاشاً كبيراً في "مدرسة بروكسيل" مع " لوسي تيتيكا" و أيضاً "ميشال مايير Michel Meyer" و الذي يعرِّف الحِجاج بأنّه "تفاوض بين شركاء الحوار أو التواصُل عن مسافة".

- الصُور البلاغية عنده ليست مجرّد صور فنيّة و جمالية و تزيينية و ظيفتها الإمتاع والحفاظ على جمال الأسلوب فقط كما كان سائدا في البلاغة الكلاسيكية، بل هي من طبيعة حجاجية و إقناعية بامتياز.

- اكتساب كفاءة التحليل البلاغي للخطاب، و هي كفاءة منهجية، تسمح للباحثين في هذا الحقل **بالاطلاع بشكل أفضل على آليات فهم كافَّة أنواع الأنظمة الحجاجية المحمولة على الخطاب.**

- حسب "برليمان" و "تيتيكا" الدليل البلاغي ، إنّما هو دليل فلسفي بامتياز، حيث أنّ البلاغيات الجديدة ضرورية و **مفيدة وفعَّالة في إنتاج وتلقِّي الرُّوح الحجاجيّ في الخطاب الفلسفي**.

كل هذا ، جعل من هذا النمط الجديد من البلاغة مدخلا أساسياً لجل المعارف و المجالات العلمية والفنية و الثقافية و الأدبية، باعتبارها - كما يقول كل من "أوليفيه ريبول " و " شايم بيرلمان " - نظرية عامّة للحِجاج و التواصل، و صارت منهجية إجرائية لا يمكن الاستغناء عنها في تحليل مختلف الخطابات كالخِطاب الديني ، و الخطاب السياسي، و الخطاب الفلسفي، و الخطاب اللُغوي، و الخطاب الأدبي، والخطاب الفّني، و الخطاب الاجتماعي، و الخطاب العِلْمي.[13]

لقد أخرجا كل من "بيرلمان" و "تيتيكا" البلاغة من طابعها المعياري و التعليمي التقليدي، أين كانت فنون البلاغة مرتبطة بالخطابة و أساليب الإقناع و فنون الإمتاع و البَيان، إلى بلاغة عِلْمية و حجاجية ذات طابع لِساني، حيث تهتّم بالخِطاب البلاغي و وظائفه التداولية، و تهتّم بالحجاج في الخطابات الفلسفية والأخلاقية و القانونية و السياسية و الاجتماعية عندهُما. إنّ التواصل الفلسفيَّ عندهُما ("ش.بيرلمان" و"تيتيكا")عبارة عن بِنْيَةٍ خِطَابِيَّةٍ تسمح بالاطِّلاع على ذلك الرِّباط الوثيق، الَّذي يُوَحِّد البلاغيات الفلسفية مع الجمهور المتلقِّي للخطاب الفلسفيّ، حيث تصير التِّقنيات الحِجاجية ذات فائدة جلِّية لكلِّ من يريد تداول الخطاب الفلسفيّ.

5. ما الغاية مِن ضرورة إدراك النظرية الحِجاجية عِند " شايم بيرلمان"؟

. استعراض الأطروحات المتناقضة و المتعارضة ذهنيا، و استجلاء مُنطلقاتها المنطقية والاستدلالية وذلك بهدف التعرف على نسبة الإقناع فيها(اختيار الحجج المقنعة و المناسبة في موقف معيّن) و النموذج: ما قام به "بيرلمان" عند قِراءتِه لمجموعة من النّصوص السياسية والفلسفية و القضائية و الأدبية، بحثاً عن الحِجاجي و الإقناعي وآليات الحجاج و تَمَظْهُرات الخطاب الحجاجي، و خير دليل عن ذلك، ما قام به في المجال القانوني والقضائي، حيث حاول تجديد الخطاب القضائي في ضوء رؤية بلاغية حجاجية جديدة، أين ركّز على خطاب القُضاة الذّين يكونون أمام مجموعة من الآراء المتناقضة و المتعارضة من ناحية وأمام مجموعة من الاقتراحات والحلول الممكنة من ناحية أخرى. لتصبح مهمّة القضاء فّك الصراعات الجدلية المتناقضة.

في دراستنا لموقف "بيرلمان" هنا، لا نجد أي مفارقة يضعها هو بين البلاغة و الحجاج، فهدفهما واحد يتمثّل في الإقناع و التأثير على حدّ سواء، فالبلاغة عنده حجاجية بامتياز. لهذا يُقْرِنُ انصار الاتجاه الحِجاجي اسمه (شايم بيرلمان) بالبلاغة الحِجاجية، و اهّم انجازاته في ذلك مؤلف المشترك مع "أوالبريخت تيتيكا" و الموسوم بِـ " مختصر البلاغة" (*) ، فقد اهتمت البلاغيَّات الجديدة كثيرا بالأنظمة الخطابية وكيفية ترتيب وَحَدَاتها عبر مختلف المؤسَّسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وقد لفت هذا انتباه كل من (بيرلمان- تيتكا) باعتبار أنّ"الخِطاب يُمارس على الجُمهور المُتَلقي تأثيرا ملاحَظاً بحيث أنه عند إجرائِهِ، فالمُنحَى الذي تَتِّم عبره استجابة الجمهور المُتلقي ومن خلال ما يكتُبُه من معطيات، يكون خاضعا على الدوام للتعديل و من هنا تأتي الأهمية المعتبرة في المحاجَّة.[14]

كما يؤكّد "ش. بيرلمان" على خطر **الإكثار من التقديم و التفصيل في الحجج والتهاون في الاشتغال عليها، لأنّ هذا في رأيه سَيُنمي خطر الوقوع في تهافت بعضها ببعض، سواء عند المُستمع و المتلقي للخطاب أو عند الخطيب عينه (المُرسِل)، لهذا نجدُهُ يُطالِبُنا بالاحتراس من مخاطر اتساع النِّطاق في الخطاب الحجاجي، حيث يُقدِّم لنا كل من "بيرلمان" و "تيتكا" آخر حِكْمَةٍ على لسان (بروديكوس–Prodicos) و هي أنّه " يجب أن يكون الخطاب دائما على مقاس معتدل".[15]**

و من هنا تُفْهَم بلاغة "ش.بيرلمان" على ضربين أساسين: - الضرب الأول تُمثِّلُهُ البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة و الاستدلال في المحاجة، كما يشترط العقل كشرط أساسي، كما يكون أيضا جمهوره ضيّق و غايته بيان الحق، أمّا الضرب الثاني فهو يهتّم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي ، و غرضه هو دغدغة العواطف و الإثارة و الأهواء، استنفاراً للسامعين[16]

6. ما هي العناصر المشكلة للعملية الحجاجية ؟

المرسل ⟵ الرسالة ⟵ المُستَمِع (المُتلَقي)

في هذه العملية بالذّات، يُعَدُّ السّامع العُنصر الفعّال و الجوهري في العملية الحجاجية، فهو أهّم من الخطيب، لأنّ الغاية من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر و مُحاجَجَتِهِ بُرهانِيا وعقلانِياً عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحّل الراجح و استكشاف رُدود فِعل المخاطب اتّجاه الحجاج. و هنا

يظهر الخلاف بين البلاغة الجديدة و البلاغة التقليدية أو الكلاسيكية التي تعتبِر الخطيب أو المرسل هو محور العملية الحجاجية. فالعِبرة هنا كما يقول "شايم بيرلمان" بالتقويم الصادر عن مُخاطبيه، .فالسامِع المُخاطَب هو المجموع الذي يُحاول الخَطيب التأثير فيه عبر حجاجه[17]. و هنا يعمد المُحاجِج إلى اختيار تلك الرسائل أو الآراء المشتركة وِفْقَ مُقتضيات المقام لإيقاع التصديق في المُتلقي و حملِهِ على الإذعان لدَعواه، قبل أن نصّهُ بِواسطة جُملة من التقنِيات الحِجاجِية، و قِوام هذا الإتِّفاق المُسْبَق أو المُقدمات التي يُصادِق عليها المتلقي وفق " بيرلمان": أمور تُحيل إلى الواقع، و أمور تُحيل إلى ما هُو مُفضّل عند المُخاطب (القيم و المواضع).[18] و للحجاج معالم و شروط واضحة عند "بيرلمان"، أوّلها: أن يكون معبّر عنه بلغة طبيعية، و المعْلَمُ الثاني: أن لا تفتقر مُقدماته إلى ضرورة منطقية، أمّا ثالثا، فمسلماتُه ينبغي أن تكون احتمالية، و رابعا: أن تكون نتائجه غير مُلزمة.

إنّ البلاغة البيرلمانية(نسبة إلى شايم بيرلمان) في مقابل البلاغة الأرسطية، تتعلّق بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور الحاضر ضمن ساحة عمومية او باجتماع لمُتخَصِصين، أو تعلق الأمر بشخص واحد، ثمّ هي تهتّم بالحُجج التي قد يُوجِّهُها المُتكلم إلى نفسه في مقام حواري ذاتي، بمعنى أنّها وسّعت دائرة المستمع أو المقام بِخِلاف الحال عند "أرسطو" الذي ضيّقه و حصره بجمهور مجتمع في ميدان ما. فالغاية من الحِجاج كما يراه كل من " بيرلمان" و "تيتيكا" – أن يجعل العقول تُذْعِن لما يُطْرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحِجاج ما وُفِّق في جعل حدّة الإذعان تُقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب انجازُهُ أو الإمساك عنه، أو هُو ما وفّق على الأقّل في جعل السامعين مُهَيئين لذلك العمل في اللحظة المُناسبة.[19]-

يتّبع "بيرلمان" منهجا يعتمد على التفكيك، أين يستقي معظم أدلته و أمثلته من ميادين القانون و الأدب و الفلسفة، و قد حصر البحث الحجاجي في سياقٍ منطقي م تأنِفا من خلاله تحليل التفاعُل بين المُستمِع و الخطيب. [20]

7. متى يكون النّص حِجاجِياً بمنظور البلاغة الجديدة (اين تكمن البلاغة الحجاجية للنّص) ؟

« ...و النّص يكون حِجاجِياً من وجهة نظر البلاغة الجديدة حين يحمِل بِذرة خِلاف، تتضمّن قصداً تأثيرِياً، مُضمراً أو مُعلَناً، بِنِية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطَب أو حملِهِ على مزيد من موافقة داخِل مسار تواصُلي غير إلزامي.»[21]

إنّ إعادة البلاغة بمفهومها الإقناعي الجديد إلى منابعها التي تتدفق منها ، لا يكون إلاّ - من خلال البحث عن الحُجج و الظفر بها فيما اصطُلِح عليه مرحلة الإيجاد هذا أولا، أمّا ثانيا فيكون بتنظيمها و ترتيبها في الخطاب الذي نُنْشِئُهُ ، و ثالثاً بصياغتها و طريقة تقديمها لفظياً فيما يسّمى بالأسلوب. فالإقناع يتولّد من مجموع هذه الوسائل المتلاحمة في الخِطاب، أي من الحُجج القابلة للرصد و من موقعها في الخطاب، و من شكلها اللفظي ، فالحجة هي محتوى في شكل لفظي و موقع في الخطاب، و القراءة البلاغية الحجاجية للنّص، تتوجّه للحُجج الظاهرة و المضمرة لاستخراجها و وصف آلياتها، كما تتوجّه لوصف و تأويل موقعها في بناء النّص، و طرائق تشكيلها اللفظية، و بذلك يشمُل التحليل البلاغي كل المكونات التي تسهم في بناء الإقناع، ابتداءا من المُحتوى اللفظي إلى المُحتوى المنطقي و الأخلاقي و العاطفي، مُروراً ببناء الخطاب ، وصولا إلى شكله الأسلوبي الجمالي.[22]

إذن هدف الحجاج عند "بيرلمان" Perleman هو « دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفُروض التي تقدّم لهُم، أو تعزيز التأييد على تنوُع كثافته. »[23] هكذا يصير موضوع نظرية الحجاج هو - دراسة التقنيات الهادفة إلى حثّ النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها، أو تقوية ذلك التسليم ، كما تفحص أيضاً الشروط التي تسمح بانطلاق الحجاج و نموه، و كذى الآثار المترتبة عنه[24]-

إنّ أنجح حِجاج –حسبه- هو ما وُفِّقَ في جعل حدّة الإذعان تُقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب انجازه أو الإمساك عنه ، أو في ما وُفِّق في جعل السامعين مُهيئين لذلك العمل في هيئة مناسبة.[25]

8.خاتمة:

في الأخير، يجدر بنا التنبيه إلى أنّ من الفروقات الأساسية بين النظريات الحجاجية في البلاغة الكلاسيكية والمعاصرة أنّ: النظريات التقليدية كانت عقلانية و موضوعية على مستوى الحجاج، و لم تُعطي أولوية لحساب الذّات، و لم تعني بخطاب الأهواء و الانفعالات. هذا ما تداركته النظريات الحجاجية المعاصرة، أي العِناية بالجانب الانفعالي من التفاعل الحجاجي، و الذي أُدخِلَ ضِمن العمليات الإجرائية المُشكلّة للعملية الحِجاجية. (توظيف الاستدلالين العقلي والانفعالي مع مراعاة عدم نفي أحدِهِما للآخر.)

و لعلّ أهّم انجازات البلاغة الجديدة ، هو إعلانها الصريح بتجاوز مفاهيم التزيين و التجميل والتحسين الذين ارتبطت بِهما وظيفة البلاغة الكلاسيكية ، فقد استوعبت مفهوم التحسين وربطته بوظيفةٍ أرقى هي الإقناع ، فأصبحت صُوَرُ التعبير جُزءاً لا يتجزأ من عَمَلِية الإفحام و الإقناع. فإذا أدركنا أنّ البلاغة - في أحد توجُهاتها ا أصلية تُرادِفُ الإقناع، فإنّنا ينبغي أن نَكُّف عن ربطها بالعِبارة الفصيحة و التعبير الجميل و البيان الساحِر الذي يستولي على الألباب ، لنصِلها بالنجاعة في الإقناع لا بالجمال في الإمتاع[26].

إنّ البحث في ميادين البلاغة الحجاجية أو الإقناعية جِدُّ نافع للدارسين في مجال البحث عن أوجه الافتراق بين البلاغة الكلاسيكية في فترات تَشَكُلها منذ التراث اليوناني إلى ميلاد البلاغة الجديدة ، مِمّا يدفعنا إلى ضرورة تقديم توصيف دقيق للبلاغة الحجاجية الاقناعية كما قدّمها لنا الغرب، لإدراجها كمجال دراسة في علومنا اللغوية العربية عامّة و البلاغية بالخصوص، لكن هذه الإفادة من تجارب المعاصرين الغربيين في مناهج هذه الدراسة لا ينبغي أن تكون على مستوى التطبيق - كما يقول المختصين في هذه الدراسات من العرب- حتى لا نكون تابعين نجتّرُ كل ما ينتجونه، و حتى لا نقع في إشكالية اضطراب المفاهيم بين الضفتين (الغربية و الشرقية). فبعد قرون من الإغفال للبلاغة "أرسطو" و بعد شيوع العديد من الدراسات الجادّة في ما يسمى اللسانيات الحديثة، و بعد أن ظهر إلى الوجود أهّم مصنّف في

تلك الدراسات إنّه كتاب " مصنّف في الحجاج: البلاغة الجديدة" لِشايم بيرلمان و "أوالبريخت تيتيكا" ، وهي أهّم محاولة منجزة في تجديد البلاغة الأرسطية، أو ما يسّمى " النظرية الحجاجية الأرسطية"، حيث كان يهدف هذا الكتاب إلى إخراج الحِجاج من دائرة الخطابة و الجدل الذي بقي لفتراتى طويلة مُرادفا للمنطق نفسه،- فالباحثان عمِلا من ناحية أولى إلى تخليص الحجاج من الخِطابة التي التصقت بها تُهمة المناظرة و المُغالطة و التلاعُب و عواطف و عقول الآخرين، و كذى تخليصه من صرامة الاستدلال ... فالحِجاج عندهما معقولية و حرية، و هو حوار للحصول على الوفاق بين الأطراف المُتحاورة.[27] و باعتبار أنّ الحجة عند "بيرلمان" هي صورة خطابية، و إذا لم تؤدي هذه الصورة إلى موافقة المتلقي، فإنّها تصير مجرّد صورة أسلوبية، كما يرى في موضع آخر من كتابه "مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة - أنّه إذا لم تندمج الصور في داخل بلاغة يُنظر إليها كفن للإقناع و الإفحام ، فإنّه –و حسبه - لا ينبغي عدُّها صُوراً بلاغية و إنّما تُصبح مجرّد محسنات تهتّم فقط بشكل الخطاب.

9. قائمة المراجع:

1–راجع: "أرسطوا"، فن الخِطابة"، ترجمة، عبد القادر، قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008.، ص، ص، 15، 16.

2– انظر: عباس، آرحيلة، الأثر الأرسطي في النّقد و البلاغة العربيين، إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص، 225.

3– المرجع نفسه، ص، 226.

4– أنظر: عباس، آرحيلة، المرجع نفسه، ص، ص، 232، 233.

5– حمداوي، جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د(ط)، 2014، ص، 25.

6– أرسطو، "فن الخطابة، المصدر السابق، ص، 16.

7– راجع: عمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخيّل و التداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

* استُعْمِل مصطلح " البلاغة الجديدة " عام 1958م في عنوان لدراسة قام بها " شايم بيرلمان" وَسَمَها بـ "مقال في البرهان: البلاغة الجديدة" وتعتمد هذه الدّراسة على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع، كتِقَنية خاصة ومُمَيّزة لدِراسة المنطق التّشريعي والقضائي على وجه التّحديد، وامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر. وقد عرفت هذه المدرسة فيما بعد بمدرسة (بروكسل) وتفرّعت إلى تيارات عديدة متخالفة في الأعوام التّالية: إذ انبثقت من دراسة المنطق القضائي لكنها لم تلبث أن تجاوزته إلى الفلسفة.، و عموما تدور مبادئها حول وظيفة اللغة التواصلية، وأنّها ليست منبتة الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية(راجع: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص ص65-66).

8 – Voir : Chaïm Perlman et Lucie Olbrechts- Tytéca, Traite de l'argumentation : La nouvelle Rhétorique- Préface de Michel Meyer, 5ém éditions de l'université de Bruxelles , P.06.

9- حمداوي، جميل، المرجع السابق، ص، ص، 27، 28.

10– راجع: رضوان الرقبي، " الإستدلال الحجاجي التداولي و آليات اشتغاله" مجلّة عالَم الفكر، العدد 02- المجلّد 40- الكويت، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص، 85.

11- انظر د.تكتك إكرام، الحجاج و البلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد، 31، ص، 27. نقلا عن الموقع الالكتروني: ، https://lissanarab.blogspot.com/2019/05/pdf_14.html منشور بتاريخ: 14 مايو 2019.

12 – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts –Tyteca Ibid, P. 635

(*) –voir : Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts –Tyteca :Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, presses Universitaires de France, Paris, 1958.

13-Ibid ; p.61.

14- رضوان الرقبي، المرجع السابق، ص، ص، 28، 29.

15– راجع: مقال الحجاج و البلاغة الجديدة، د.تكتك، إكرام، مجلة الحقيقة، العدد:31، مرجع سابق، ص، ص، 38،37.

16- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب و علم النّص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، صفر، 1992/1413، ص،74.

17- راجع: العمري، محمد، بلاغة الحوار- المجال و الحدود- مجلة فكر و نقد، الكويت، المجلد الثامن و العشرون، العدد03، 2000، ص، 08.

18 Charles Perelman et L. Olbrechts-Tyteca:Traité del'argumentation ,p59 ;

نقلا عن الحجاج: أطُرُهُ و مُنطلقاتُهُ و تقنياته، من خلال " مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة- 1958.، ص، 299.

19– راجع : ليونيل ، بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصُل، تر: عبد الرفيق، بوركي، مجلة علامات، العدد21، ص،40.

20- راجع: محمد، ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات ابحاث الكتاب الأخضر، ط1، 2004، ص،15.

21- حمداوي، جميل، المرجع السابق، ص، ص، 98،97.

22- انظر: د.محمد، مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، دار الرافدين، بغداد، العراق، ط1، 2021، ص، 21

23 –Chaïm Perlman et Lucie OlbrechtsTytéca ,Traite de l'argumentation : La nouvelle Rhétorique-Paris, 1958, P. 25.

24– أمينة الدهري، الحِجاج و بناء الخطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر و التوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص، 143.

25- راجع: محمد، ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات ابحاث الكتاب الأخضر، ط1، 2004، ص،15.

26- د. محمد، مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، المرجع السابق، ص،ص، 15،14.

27– انظر: عبد صوله، الحجاج ، أطره و منطلقاته و تقنياته، من خلال مصنف في الحجاج، المرجع السابق، ص، 298.